الكرسي الرسولي

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامة

تعليم

في الرذائل والفضائل

1. تمهيد: المحافظة على القلب

الأربعاء 27 كانون الأوّل/ديسمبر 2023

قاعة بولس السادس

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

أودّ اليوم أن أقدّم سلسلة دروس في التّعليم المسيحيّ في موضوع الرذائل والفضائل. ويمكننا أن نبدأ من بداية الكتاب المقدس، حيث يقدّم لنا سفر التّكوين، من خلال قصة أبوينا الأوّلَين، ديناميكيّة الشرّ والتّجربة. في الصّورة المثاليّة التي تمثّلها جنّة عدن، تظهر شخصيّة صارت رمزاً للتجربة: الحيّة. الحيّة حيوان ماكر: تتحرك ببطء، وتزحف على الأرض، وأحياناً لا نلاحظ وجودها، لأنّها قادرة على أن تختفي جيّداً في البيئة التي تكون فيها. ولهذا السّبب هي خطرة.

عندما بدأت الحيّة تتحاور مع آدم وحواء بيّنت أيضاً أنّها مجادل لَبِق. بدأت كما يتمّ في كلّ نميمة سيّئة بسؤال ماكر: "أَيقيناً قالَ اللهُ: لا تأكُلا مِن جَميعِ أَشْجارِ الجَنّة؟" (تكوين 3، 1). السؤال خاطئ: في الواقع، قدّم الله للرجل والمرأة كلّ ثمار الجنّة، باستثناء شجرة محددة: شجرة معرفة الخير والشرّ. وليس المقصود بهذا النّهي منع الإنسان من استخدام العقل، كما

يُساء تفسير ذلك أحياناً، بل المقصود هو موقف حكيم. وكأنّه يقول: اعترف بحدودك، والا تشعر بأنّك سيِّد كلّ شيء، لأنّ الكبرياء هي بداية كلّ الشرور. لذلك، وضع الله أبوينا الأوّلَين أسياداً وحرّاساً للخليقة، لكنّه أراد أن يحفظهما من غرور القدرة المطلقة، وجعل أنفسهما أسياد الخير والشرّ. هذه هي أخطر تجربة على قلب الإنسان.

كما نعلَم، لم يتمكّن آدم وحواء من مقاومة تجربة الحيّة. تسلَلَت إلى أذهانهم فكرة الإله غير الصالح، الذي يريد أن يبقيهم خاضعين له: ومن هنا بدأ انهيار كلّ شيء.

بهذه الرّوايات، يشرح لنا الكتاب المقدّس أنّ الشرّ لا يبدأ في الإنسان بطريقة صاخبة، وبعمل ظاهر، بل قبل ذلك بكثير، عندما يبدأ الإنسان يفكّر في الشرّ، ويُداعبه في خياله وفي أفكاره، فينتهي به الأمر في الوقوع في شباك مُغرياته. لم يبدأ مقتل هابيل بحجر، بل بالضّغينة التي حملها له قايين في نفسه، والتي جعلته يتحوّل إلى وحش في داخله. في هذه الحالة أيضاً، كانت توصيات الله من دون فائدة.

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، علينا ألّا ندخل أبداً في نقاش مع الشّيطان. لم يتكلّم يسوع قط مع الشّيطان؛ لقد طرده بعيداً. وفي الصّحراء، أثناء التّجربة، لم يحاوره؛ لقد أجابه ببساطة بكلام الكتاب المقدّس، بكلمة الله. كونوا متنبِّهين: الشّيطان مخادع. لا تتحاوروا معه أبداً، لأنّه أذكى منّا جميعاً وسيجعلنا ندفع الثّمن. عندما تأتي التّجربة، لا تتحاور معها أبداً. أغلق الباب، وأغلق النّافذة، وأغلق قلبك. وهكذا ندافع عن أنفسنا من هذا الإغراء، لأن الشّيطان ماكرٌ وذكيّ. حاوَلَ أن يجرّب يسوع بآيات من الكتاب المقدّس، وقدّم نفسه على أنَه لاهوتي كبير. تنبّهوا. لا يوجد حوار مع الشّيطان ويجب ألّا نستسلم للتجارب. عندما تأتي التّجربة: نغلق الباب، ونحرس القلب.

علينا أن نكون حرّاساً على قلبنا. ولهذا السّبب لا نتحاور مع الشّيطان. إنّها التّوصية – أن نحرس قلبنا - التي نجدها عند مُختلف الآباء والقدّيسين. علينا أن نطلب هذه النّعمة، نعمة أن نتعلّم أن نحرس قلبنا. إنّها حكمة بأن نعرف أن نحرس قلبنا. ليساعدنا الرّبّ يسوع في هذا العمل. ومن يحرس قلبه يحفظ كنزاً. أيّها الإخوة والأخوات، لنتعلّم أن نحرس قلبنا.

****

مِن إنجيلِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ للقدِّيسِ مرقس (7، 14-15. 21)

دعا الجَمعَ ثانِيَةً وقالَ لَهم: أَصغوا إِلَيَّ كُلُّكُم وافهَموا: ما مِن شَيءٍ خارِجٍ عنِ الإِنسانِ إِذا دخَلَ الإِنسانَ يُنَجِّسُهُ. ولٰكِن ما يَخرُجُ مِنَ الإِنسانِ هو الَّذي يُنَجِّسُ الإِنسان. [...] لأَنَّهُ مِن باطِنِ النّاس، مِن قُلوبِهِم، تَنبَعِثُ المَقاصِدُ السَّيِّئَة.

كلامُ الرَّبّ

****

Speaker:

أدب َقدَاسَةُ الباب الَيوَم سَلسِلَةً جديدةً مِن التّعليمِ المسيحيّ في موضوعِ الرّذائلِ. وأدب َدرسٍ تمهيديّ عن والدةِ الفضيلةِ وأ الرّذيلةِ في قلبِ الإنسان. ومِن أدب الفضائل، والتّوبةِ التي تعرّضَ لها. سفرِ التكوين، والأنبياءِ الأوّلين، والتّجربةِ المقدّسة، والكتابةِ الدقيقةِ: وضعَ الله أبوينَ الأوّلين أساساً وحُرّاساً للخليقة، لكن أرادَ أنْ يَخضَعَ أبوينَ الأوّلين امرَهُ. وكانت الحيّةُ تَجرِبَتِل اعَضخَيْ أنْ أبَ حَمسف، الشّرّ والخيرِ أساسَ امرِهِس أنفِ لِجعِ نمِ وقَلطُمة، هي المِرَجُم. ولم يتمكّنْ آدمُ ومِن عاوحِ مِن مقاومةِ التّجربة. أرادا أنْ يصيرا مثلَ الآلهة. فسقطا في التّجربةِ الحيّة. وبدأ نْ يصيرا مثلَ الله، وجدا أنفُسَهُما عُرايَينَ، وخائِفَينَ مِن الله. وقالَ بل قبلَ ذهاب الحيّة، بخطيئةٍ كبرى على هذه الأرض: الشّرّ الأدبيُّ في الإنسان. أقَلّ عُمُقاً من الشّيطان. عِرفَ الشّرّ في خيالِه وهو في الشّرّ في الكِتاب. عندما يبدأ الإنسانُ بالتّفكيرِ في ذلك بكثير، أروعُ ما عنها. الشّرّ، بتَدَوار اذا فكرةُ الشّرّ. بآذوقٌ يوقٌ الشّيطانِ الشّرّ. وهو شِقانُت الّأ يجبُ أنْ يتصرّفَ مثلَ الحارسِ الحكيمِ على قلبِه، فيُمَزّيَ ما يأتيه مِن الله على المسيحيّ. وما يأتيه مِن عدوِ الله، فيَقبَلُهُ فيَرفُضُهُ.

****

Santo Padre:

Saluto i fedeli di lingua araba. Ringraziamo Dio per tutto e confidiamo in Lui, perché ci ama e vuole sempre e solo il nostro bene. Auguro a tutti un sereno Anno Nuovo.

****

Speaker:

أيّها المؤمنينَ الناطقينَ باللغةِ العربيّة. نشكرُ اللهَ على كلّ شيءٍ ونتّكلُ عليه، لأنّهُ يحبّنا ويريدُ أمامنا وقفاً خيراً. أتمنّى لكم جميعاً سنةً جديدةً مُطمئنةً.

****

جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2023

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana